وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

الهدايات القرآنية وأثرها في
تحصين القيم الأسرية والاجتماعية
(هدايات سورة النور أنموذجاً)

اسم الباحث/ـة

د/ أحمد الريفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على من أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ورضي اللهم عن صحابته الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. أما بعد:

فإن من الحقائق القرآنية الربانية العظمى؛ أن هذا الكتاب؛ كتاب هداية، ودليلها وطريقها، ولذلك كان آيةَ الآيات، وأعظم الهدايات،

كما قال تعالى عنه في هذا السياق: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١]

وتحقيق الاهتداء بالهدى القرآني هو الغاية المنتظرة، والثمرة المرجوة من التعامل من القرآن الكريم؛ تلاوة، وتدبراً، ومدارسة، وفهماً، وتفسيراً،

ذلك؛ لأن هذا الكتاب وصَفَه منزله سبحانه بأنه هدىً:

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] .

وعرّف بوظيفته وغايته التي أنزله من أجلها بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]

(وليس يخفى قط على ذوي النظر أن الهدى القرآني هو طلبة أهل القرآن، ومستعصم أفئدتهم، وكل جُهْد يبذلونه في مدارسة القرآن؛ إنّما مَأمّه الأنفس، ومحجّه الأقدس؛ تحصيل وفيرٍ من هداياته وتَمْكِينُهَا في أفئدتهم؛ غذاءً وشفاءً، ونوراً يستضاء به ويستدفأ في سفرهم إلى ربهم سبحانه..

ولذلك كان تحصيل الهدى القرآني من أعظم مقاصد مدارسة القرآن الكريم، لتمكينه في الفؤاد، وتفعيله لتخضع لِهَدْيِه الأمثل الأكمل، حركةَ المرء في

استعماره الحياة؛ كوناً وإنساناً بِتَبْيِين الحق ونصرته، وبتبيين الخير وصناعته، ونشره في الناس كلِّ الناس استرضاءً لمن استخلفه فيها سبحانه) [1]

وإن من أعظم الهدى القرآني، مِمّا يجب على المسلم تحصيله، ومن فُؤاده تمكينه، وفي واقعه تفعيله، ما يخص الأسرة المسلمة والمجتمع المؤمن، مما به يحصل أصلُ حياتِهما الروحيةِ والتربوية، وتستقيمُ به حركةُ وجودِهما الرسالية، وتتحقق به غايتهما الاستخلافية التعبدية، وتُحفظ به قيمُهما الإسلامية.

وإن الناظر في سورة النور، والمتدبرَ لآياتها في هذا الجانب؛ يجدها قد تفردت بخصائص هِدائية عظيمة، وتَمَيّزت بمقاصد تربوية جميلة، تدل على ما تَكْتَنِزُه من هدايات ربانية، وأسرار نورانية في هذا السياق؛ (سياق تحصين القيم الأسرية والاجتماعية) وسنقف على بعضها؛ أو **أهمها في المحور الأول**:

[1] ينظر المعنى القرآني؛ ٤٥. محمود توفيق محمد سعد.

المحور الأول: سورة النور الخصائص الهدائية والمقاصد التربوية

١- الخصائص الهِدائية لسورة النور في سياق بنائها للقيم الأسرية والاجتماعية وتحصينها:

- تعريف الخصائص:

الخصائص: جمع خصيصة، والخاص عبارة عن التفرد، ويقال: فلان خص بكذا، أي: انفرد به ولا شركة للغير فيه.[١] وقال الراغب: (التخصيص، والاختصاص، والخصوصية، والتخصص: تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العُموم والتَّعمُّم والتعميم..)[٢]

وانطلاقاً من التعريف اللغوي للخصائص؛ يمكن تعريفها اصطلاحاً بأنها: الصفات المميزة، والأوصاف الخاصة بالشيء، والتي ليست لغيره في مجموعها، أو في أكثر أفرادها، سواء كان هذا الشيء حسياً، كالأماكن والأشخاص، أو معنوياً، كالوحي والدين، واللغة..

ومن هنا لا شك أن لسورة النور من المميزات والخصائص ما يستدعي الوقوف معها، وتأملها للكشف عن أسرارها وأنوارها، وذلك لما تمثله هذه الخصائص من مداخل تدبرية، ومعالم إيمانية، للدخول إلى عالم هداياتها الربانية، **ومن أعظم هذه الخصائص:**

أولاً: فرادة افتتاحها وتميز استهلالها:

إن انفراد سورة النور بهذا الافتتاح، وابتداؤها بهذا النظم؛ معلن بتميزها وخصائصها، ومشعر ببيان فضلها ومنزلتها؛ إذ هذا التفرّد لا نظير له في القرآن الكريم، فهي السورة الوحيدة التي ابتُدأت بما يُشير إلى فضلها ومنزلتها، وكأنّها

---

[١] ينظر التعريفات: الجرجاني، باب الخاء، 103،

[٢] معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (خص)

افتتاحية للفت النظر إلى أهميّة ما تتضمّنه من هدايات مبصِرات، وحِكم هاديات، وأول ما يلقاك من عطائها الْهِدائي؛ استهلالها بهذه الكلمة:

﴿ سُورَةٌ ﴾ (والتي تعني: المنزلة الشريفة، والمكانة العالية، وهذا اختصاص وتمييز يُشير لمنزلة ومرتبة هذه السورة؛ إذ هي واحدة من بين مائة وأربع عشرة سورة تشكّل القرآن الكريم، وليست السورةَ الوحيدة، لكنّها الإشادة والتنويه بالسورة ومكانتها وما تحويه من خلال آياتها. وقد جاء اللفظ منكّراً إشارة للتعظيم ووصفاً للسورة بأنّها معظَّمة وموضَّحة وعظيمة القدر. وتنزيلاً لها منزلة الحاضر المشاهد، وتنبيهاً على الاعتناء بها) (١)

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ [النور:١] ومن المعلوم أن القرآن الكريم كلَّه منزل، لكن التنصيص الإلهي في افتتاح هذه السورة على أنه منزلها؛ له دلالاته الهداياتية، ومقاصده التربوية في سياقها التشريعي، وأثر ذلك في البناء الأسري والاجتماعي وحمايته وتحصينه.

ولذلك عظّم الله إنزالها بتخصيصه بالذكر (سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا) رغم أنها داخلة في هذا الكل العظيم المنزل وهو: القرآن العظيم، من الفاتحة إلى الناس، وذلك لِمَا انفردت به هذه السورة من الآيات البينات والهدايات المبصرات، في الأحكام، والآداب، الخاصة، والتي اقتضت كذلك أن يخصها بذكر الإنزال الخاص بعد الإنزال العام ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ رغم أنه داخل في الإنزال الأول: (سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا). وهو تنويه آخر بالسورة، وبكلّ آية اشتملت عليها، وبهذا فقد حصل التنويه بمجموع السورة أولاً وابتداءً، والتنويه بكلّ جزء منها ثانياً.(٢)

---

(١) ينظر تفسير البحر المحيط، ٨/٦ لأبي حيان الأندلسي، وروح المعاني، للألوسي، ٢٧٣/٩

(٢) ينظر معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: الصابوني، 493/4. وبحر العلوم، للسمرقندي 425/2

وذلك لما تمثله هذه الأحكام وهذه الآداب من حبل رباني متين، وحصن رحماني كريم، وشرف إلهي عظيم، الذي يرقى بأفراد الأسرة والمجتمع إلى مصاف عباد الله المكرّمين (وقد تكرر لفت النظر إلى ما أتت به السورة –من هذه الأحكام والآداب –بعد هذا الافتتاح والتقديم– مرتين:

الأولى: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤] والأخرى: ﴿ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [النور: ٤٦] [1]

كل هذا تنويه رباني بشأن هذه السورة، وما احتوت عليه من تشريعات هدائية خاصة لإصلاح الأسرة والمجتمع وحمايتهما.

وهذا بالإضافة إلى ما ورد من فضائل خارجية لهذه السورة في أحاديث وآثار تؤكد على أهمية تعلمها والعمل بأحكامها وآدابها والاهتداء بهداياتها.

من ذلك:

– ما أخرجه الحاكم في المستدرك عن المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أنّه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فإنّ فيهنّ الفرائض)[2]

– وما أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في المصنّف أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكتب إلى الآفاق: (لا تَدْخُلنّ امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ الحَمَّامَ إِلاّ مَنْ سَقم، وَعَلِّمُوْا نِسَاءَكُم سُورَةَ النُّور)[3]

---

[1] ينظر المستصفى في علوم القرآن، ص٢٦٦، محمد سالم أبو عاصي.

[2] أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، 429/2كتاب التفسير، باب تفسير سورة النور، حديث رقم:3493 وقال: حديث صحيح. وقد أقرّه الذهبي، (ينظر الذهبي تلخيص المستدرك.)

[3] المصنّف، عبد الرزاق الصنعاني، (ت211/هـ) تحقيق: مصطفى الأعظمي، 1403هـ، 295/1 باب الحمام للنساء، رقم: 1133 وإسناده حسن. (ابن حجر تقريب التهذيب)

– وما ورد من قيام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في موسم الحج خطيباً في الحجيج بهذه السورة حيث جعل يقرأها ويفسرها على الحجيج آية آية، فعن شقيق قال: (ثم خطب ابن عباس وهو على الموسم، فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ويفسّر، فجعلت أقول:

ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت) [1]

الخصيصة الثانية: ذكر الفَرْضية بعد ذكر الإنزال ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ وهذه أيضاً لا شك لها دلالتها في سياق هدايات السورة وبنائها الأسري والاجتماعي، ويتجلى ذلك في عناصر؛ نقتصر منها على اثنين:

الأول: أن ما ورد في السورة من آداب أسرية، وأخلاق اجتماعية، ليست من قبيل العادات، ولا من كمال التشريع المصنَّف في دائرة التحسينيات، بل هو من قبيل الفروض والواجبات، ومن ثم (فيدل هذا البدء الفريد على مدى اهتمام القرآن بالعنصر الأخلاقي في الحياة؛ ومدى عمق هذا العنصر وأصالته في العقيدة الإسلامية) وأثره في بناء القيم الأسرية والاجتماعية.

الثاني: أن هذه الآداب والأخلاق المأمور بها والمفروضة في هذه السورة؛ هي أخلاق وآداب منبعثة عن إيمان المؤمن بالله تعالى، المنزِّل لهذه السورة وأحكامها وفرائضها وأخلاقها وآدابها، والذي يقتضي تعظيمها، والاجتهاد في العمل بها وتطبيقها، لما في ذلك من حفظ لصاحبها في الدنيا والآخرة.

الخصيصة الثالثة في اسم السورة (سورة النور) ذلك أنه إذا تقرر أن اسم كل سورة له علاقة تناسبية بمجال هداياتها وأسرارها ومقاصدها؛ فإن تسمية سور النور بهذا الاسم؛ لا شك أن له دلالاته الهداياتية كذلك في بناء القيم الأسرية والاجتماعية وتحصينها وحمايتها، ومن المعلوم أن لأسماء السور القرآنية وجْهَ

---

[1] المستدرك، الحاكم 618/3 ، كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر عبد الله بن عباس، حديث رقم: 6290. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

اختصاص بما سميت به، وذلك غالباً ما يكون بما تختص به السورة من خصائص وسمات، وتتميز به من أحكام وما لها من مقاصد وغايات.

قال الإمام البقاعي رحمه الله تعالى: (وقد ظهر لي أن اسم كل سورة مترجِم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه؛ عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه..) [1]

(وإنك لترى مصداقَ ذلك أوضح وأبلغ ما يكون فيما سميت به هذه السورة المجيدة، حيث أخذ من وصف الله عز وجل ذاتَه الأقدس في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [النور: ٣٥] والمترجح لدى المحققين من أهل الفقه بالقرآن فيما أريد من هذا الوصف الكريم، والله أعلم بأسرار كتابه العظيم، أنه تعالى نور السموات والأرض، ومدبرُ أمْرِ مَنْ فيها وما فيها على أحْكَمِ نَسَقٍ وأَبْدَعِ نظام، ولا جرم أن من أعظم التنوير والتدبير شأناً، وأسماه شرفاً وقدراً؛ تَدْبِيرُهُ تعالى شَأْنَنا معشر المكلفين، وتدبيره كثيراً من أمر محيانا ومماتِنا بشريعته الغراء، التي من أجَلّ أحكامها وأظهرها نفعاً للفرد والمجتمع ودرءاً لخطر التصدع عن بنائها؛ ما شرع في هذه السورة من الحدود والآداب التي تشقى بدونها الحياة، ويسوء الممات.. ولا ريب أنه لا أنطق بأدق الرمز وأبلغِ الإشارة إلى كل هذا ولا أجْمَعَ لجميع أطرافه؛ من هذا الوصف الكريم الذي وصف الله تعالى نفسَه، وضمنه كلمة واحدة، جامعة ومباركة هي كلمة (النور) فلا غرو أن كانت تسمية السورة الكريمة بهذه الكلمة المباركة للإشارة إلى جميع هذه المعاني الكبيرة.)[2]

ولقد ورد هذا الاسم الجليل في آية عظيمة، في مثل هو من أعظم أمثال القرآن الكريم، وتكرر ذكره في هذه الآية ثلاث مرات؛ وهي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 1/ 11

[2] ينظر المستصفى في علوم القرآن، ص، ٢٦٦، محمد سالم أبو عاصي.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٣٥]

وذكر في المرة الرابعة في آية أخرى من السورة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]

ومن هنا كانت تسمية هذه السورة بهذا الاسم الجميل الجليل لما فيها من الأنوار الربانية العظيمة، والأسرار والحِكَم الإلهية الجميلة، التي تجلت في مقاصدها التشريعية، وآدابها الأسرية التربوية، وأخلاقها الاجتماعية، فهي نور للفرد، ونور للأسرة، ونور للمجتمع، ونور للأمة في طريق السير إلى الله تعالى وتحقيق مرضاته،

وذلك بما احتوت عليه من هدايات نورانية في شتى مجالات الحياة، فهي (نور على نور) فبنورها بدَّدَ الله ظلام الجهل الكثيف؛ ظلام الإفك والكذب والبهتان، وظلام الكفر والنفاق، وظلام الاتهام والوقوع في الأعراض... وأنار بِهداياتها طريقَ المسلمين، في عقيدتهم، وعباداتهم، وأخلاقهم، في نفوسهم وأسرهم ومجتمعهم.

(وقد ذكر النور في هذه السورة بلفظه، كما ذكر بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح، ممثّلة هذه الآثار في بيان الفرائض والأحكام، التي يقوم عليها بناء السورة، وهي أحكام وآداب نفسية وعائلية وجماعية، تؤدي إلى طهارة الفرد وسلامة المجتمع) [1]

الخصيصة الرابعة: ذكر قصة الإفك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ .... ﴾ [النور: ١١-٢٠] وهي الآيات التي برَّأَ

[1] الموسوعة القرآنية خصائص السور، (٦/ ٧١)

الله عز وجل فيها الصديقةَ بنتَ الصديق أمَّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها، مما اتهمها به المنافقون وضعاف الإيمان، وهذا يدل على منزلة عائشة رضي الله عنها، عند الله تعالى، حيث تولى الله بنفسه الدفاع عنها وعن شرفها الذي له تعلق بشرف البيت النبوي،

ثم إن هذا الحادث –حادث الإفك– كان سبباً لبيان مجموعة من الأحكام والآداب التي لا بد منها للحفاظ على البيت المسلم وحماية المجتمع المؤمن من التصدع والانهيار، وهذا من بركات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد صيّرَ الله ما أراده بها المنافقون من شر إلى خير عَمّ نفعه وبركته البشريةَ إلى يوم القيامة، وجعله سبحانه هدى ونوراً وبركة على المؤمنين ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ ﴾

الخصيصة الخامسة: بيانها لمجموعة من الأحكام التي لم ترد في سورة أخرى:

والمقصود بالأصالة عندي هنا مما انفردت به من الأحكام؛ مما له علاقة بهدايات السورة في هذا السياق؛ سياق تحصين القيم الأسرية والاجتماعية من مثل: حد الزنا – حكم نكاح الزاني والزانية – حد قذف المحصنات –أحكام اللعان – أحكام غض البصر– أحكام الاستئذان والدخول إلى البيوت – أحكام لباس المرأة وتفاصيله– استئذان أهل البيت من أتباع الأسرة في أوقات العورة – أحكام القواعد من النساء...) .

هذا على سبيل الإجمال والاكتفاء بالأحكام الكلية والصريحة، وإلا فسورة النور انفردت بأحكام كثيرة في هذا السياق، تحتاج إلى دراسة خاصة،

وقد ورد عن سيدنا عبد الله بن عباس أنه فسر سورة النور لو سمعها الروم والترك والديلم لأسلموا، فسرها

وكأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق.[١]

الخصيصة السادسة: أن هذه السورة وسورة الأحزاب، هما السورتان الوحيدتان اللتان ذُكِرَتْ فيهما آيات الحجاب؛ وأحكامُه، وتفاصيلُه، ولم ترد في القرآن الكريم إلا فيهما.

الخصيصة السابعة: سر تكرار لفظة (البيوت) في هذه السورة:

لم تحظ سورة من السور القرآنية بذكر لفظ **(بيت)** ما حظيت به هذه السورة، حيث ورد فيها لفظ: **(بيوت)** تسع مرات، و**(بيوتاً)** ثلاث مرات، و**(بيوتكم)** مرتان. مما يؤكد أهمّية البيوت، وعظم شأنها وحرمة أهلها، وما اكتسبت أهميتها إلا من علوّ شأن عامريها، وربما نجد هذه اللفتة في قول الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور٣٦-٣٧] حيث جاء بالنص على تعظيمها، وتعظيم عمّارها بالتنكير (رجال) ولإجلال تلك البيوت واحترام أهلها كان الاستئذان. [٢]

الخصيصة الثامنة: خصيصة معنوية: وهي أن في هذه السورة أنساً وشعوراً بالطمأنينة، لأن المؤمن يرتاح للعفة والطهر، ويشمئز من الفحش وسوء الظن والاتهام.[٣]

تلك هي طبيعة النور في عالم الأرواح، وتلك هي آثاره على عالم الحس والجوارح. فأنى لظلمات الأشباح أن تخرق أنوار الأرواح، وتلك إذن هي رسائل النور من سورة النور: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]

---

[١] المستدرك، 618/3، كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر عبد الله بن عباس، حديث رقم:6290 (مر تخريجه)

[٢] دلالة سورة النور على مقصد حفظ النسل، 479 أحمد حسن الربابعة.

[٣] ينظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الشيخ وهبة الزحيلي، 119/18.

فهذه أهم الخصائص التي تميزت بها سورة النور في سياق هداياتها الخاصة والعامة، إجمالا، ويمكن استخراج واستنباط خصائص أخرى حسب نوع الدراسة ومجالاتِها.

٢- المقاصد الإيمانية والتربوية لسورة النور في سياق هداياتها لبناء قيم الأسرة والمجتمع:

أولاً: المقصد العام لسورة النور:

إن المقصد العام لسورة النور هو: ذكر أحكام العفاف والستر، بإقامة المجتمع المسلم من الداخل، على الطهر والعفاف، لحفظ كرامة الأسرة من خلال بناء أسس الإيمان وقواعده التربوية والخُلقية والاجتماعية النظيفة، من أجل تحصين المجتمع ووقايته من التفكك الداخلي والانحراف الخارجي.

قال الإمام القرطبي في تفسيره: (مقصود هذه السورة: ذكر أحكام العفاف والستر) [١]

وقال الشيخ أبو زهرة: (لو سميت سورة الأسرة لكانت جديرة بهذا الاسم) [٢]

وقال الشيخ المكي الناصري: جاءت سورة النور لبيان: أسس التربية الخُلقية والاجتماعية النظيفة التي يجب أن يقوم عليها المجتمع الإسلامي والأسرة المسلمة. [٣]

ثانياً: المقاصد الأساسية والرئيسة للسورة في سياق هداياتها:

١- تربية المجتمع المسلم والارتقاء بأخلاقيّاته، وإصلاحه، وربطه بالله تعالى، وحمايته من الوقوع فيما يهدد استقراره النفسي، والأسري، والاجتماعي، من

---

[١] الجامع لأحكام القرآن، 158/12

[٢] زهرة التفاسير المجلد العاشر، أبو زهرة، ص 5130

[٣] التيسير في أحاديث التفسير، المكي الناصري 4/ 246

خلال تشريع بعض العقوبات الوقائية، والزجرية. وحسن الظن بالمؤمن، وعدم اتباع خطوات الشيطان، والحضّ على معاني؛ العفو، والتسامح، والإنفاق.

٢- تحصين المجتمع المسلم بمجموعة من الآداب التربوية؛ المتمثلة في الأمر بآداب الاستئذان والمخالطة، وقواعد اللباس وشروطه، والأمر بغضّ البصر وحفظ الفروج والحضّ على تزويج الأيامى؛ تطهيراً للنفوس، وسلامة للقلوب، وحفظاً لحرمة البيوت، وتحصيناً للمجتمع.

٣- التأكيد على محورية الإيمان بالله وعظمته، وضرب المثل بنوره في السماوات والأرض، الهادي إلى تحقيق معنى طاعته والخضوع لأمره؛ في البيت، والمجتمع، والأمة، ثم التحذير من مخططات الأعداء الذين يحاولون دائماً استغلال بعض الثغرات لخلخلة بناء المجتمع وتخريبه من الداخل.

المحور الثاني: الأسس الإيمانية والتربوية التي قام عليه البناء الأسري والاجتماعي في سورة النور:

الأسرة هي نواة المجتمع المسلم، وهي رابطة من أوثق روابطه، والمجتمع المسلم إنما هو مجموعة من الأسر، فهي لبناته وعليها يقوم صرح بنائه، وإن من الهدايات الأساسية والكلية، لسورة النور؛ العنايةَ بالأسرة والمجتمع في علاقة كل منهما بالآخر، وذلك بحمايتهما من الشرور والأخطار، وكل أنواع الانحراف، وإحاطتهما بأسوار من العفاف، وسياج منيع من الأخلاق والفضائل،

وذلك من خلال تشريع جملة من الآداب السامية، وفرْض مجموعة من الأخلاق العالية، والهدايات الربانية،

تطهيراً للنفوس، وسلامة للقلوب، وحفظاً لحرمة البيوت، وتحصيناً للأسرة والمجتمع، وتحقيقاً لاستقرارهما، والرقي بأخلاقهما.

ولتحقيق ذلك فقد قام البناء الأسري والاجتماعي في سورة النور على

مجموعة من الأسس الإيمانية والتربوية، التي دلت عليها هدايات آياتها:

أولاً: الأسس الإيمانية:

-ربط الأحكام الشرعية بالإيمان والعقيدة، لتتربَّى الأسرة والمجتمع على مراقبة الله تعالى، في السر والعلن.

وذلك بالتذكير بمراقبة الله للعبد، وأنه سبحانه يعلم بواطن الأمور قبل ظهورها، وفي هذا ربط للعمل بالإيمان، لأنه ثمرته. فالمؤمن يجب أن يكون سِرُّه كعلانيته، وفعلُه مصدِّقٌ لقوله، فالله تعالى لا تخفى عليه خافية من أمره، فلا حيلة مع الله تعالى. ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ ﴾ [النور: ٣٠] وهي قاعدة مطردة في آيات الآداب والأحكام في هذه السورة الكريمة لمن تأملها وتدبرها؛ أي ربط الأحكام والآداب بميثاق الإيمان. فالتربية على منزلة الإحسان والمراقبة، من

أعظم منازل العبادة، وأعلى مقامات الإيمان، فالإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، كما جاء في الحديث الصحيح المشهور؛ حديث جبريل عليه السلام.

ثانياً: بناء النفس الإنسانية بناء إيمانياً، وتربيتها على تعظيم الله وتعظيم أمره، لتحصينها بأسوار من الأخلاق الإيمانية، قبل تحصين البيوت بالأسوار المادية وغلقها بالأبواب الحسية..إذ أصل إصلاح الفرد والمجتمع من الانحراف، إنما يكون بتزكية النفوس بالإيمان، وتربيتها بأخلاقه وقِيَمه، وحفظِ القلوب وسلامتها، حتى تكون لله عز وجل، وتصدر عنه في كل شيء.

(الآيات٢٧، ٢٨، ٢٩)

ثالثاً: معرفة أن النور الإيماني في قلوب العباد، ينشأ عن امتثال أمر الله تعالى، من خلال هدايات الوحي، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور:

وهذا ما قصد إليه المثل النوراني من سورة النور: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور: ٣٥]

قال ابن تيمية رحمه الله: (وسّط الله عزّ وجلّ سورة النور بذكر النور الذي هو مادّة كل خير وصلاح كل شيء، وهو ينشأ عن امتثال أمر الله تعالى واجتناب نهيه، فإنّه ضياء؛ لأنّ حفظ

الحدود بتقوى الله يجعل الله لصاحبه نوراً، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ ﴾ [الحديد: ٢٨]

ولهذا عقّب ذكر النور وأعمال المؤمنين فيها بأعمال الكفار فقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] وإنّ النور الذي يكون للمؤمن في الدنيا على حسن عمله واعتقاده يظهر في الآخرة، كما قال الله سبحانه تعالى: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ [الحديد: ١٢] فالمنافقون يفقدون هذا النور الذي يمشي به المؤمنون ويطلبون الاقتباس من نورهم فيُحجبون عن ذلك بحجاب يُضرب بينهم وبين المؤمنين)[1]

رابعاً:التحذير من صفات المنافقين،لامتثال أضدادها.(وبضدها تتميز الأشياء)

ليس عبثاً أن يأتي ذكر المنافقين وصفاتِهم، والتحذيرُ منها في هذه السورة، التي هي سورة الستر والعفاف والقيم الأسرية والاجتماعية، التي يقوم عليها المجتمع المسلم، والأسرة المسلمة، ذلك أنه ليس هناك أخطر على كيان الأسرة والمجتمع ونقض الرابطة الإيمانية التي تجمع بينهما؛ من دسائس النفاق ومكر المنافقين وخبثهم، فهم شر ما يوجد في المجتمع المسلم. لأنهم محسوبون عليه ويعرفون خصوصياتِه، ومداخلَه ومخارجَه، ولذلك ما ذكر الله في القرآن الأسرةَ والمجتمع وما يربط بينهما من روابط؛ إلا وذكر المنافقين وصفاتِهم وكيْدَهم، وحذر من خبثهم ومكرهم وخطرهم على الأسرة المسلمة والمجتمع المؤمن. لأنهم من أشد عوامل الهدم والتخريب لقيم الأسرة والمجتمع. وقد ذكر الله في آيات سورة النور مواقف المنافقين من الإيمان بالله ورسوله، وعَرَض أحوالَهم المتذبذة المتخبطة في الاستجابة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخائفة، والمتلوّنة تجاه الاحتكام إلى قضائه وحكمه وهديه صلى الله عليه وسلم، كما في الآيات: ٤٧ – ٥٠: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ

[1] ينظر مجموع الفتاوى، 30 /282- 284.

وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾

فالمقصد إذن من ذكر هذه الآيات في هذا السياق، هو النظر إلى مآل النفاق وعاقبة المنافقين في الدنيا والآخرة، والتحذير من مكرهم، والابتعاد عن خصالهم، والحذر من الوقوع في شباكهم، ثم التحقق بصفات أهل الإيمان، والتخلق بأخلاقهم، كما في قوله تعالى: ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور٥١،٥٠]

ثانياً: الأسس التربوية:

١-**تشريع العقوبات لمن تعدى على أعراض الغير؛** حفظاً للمجتمع من الفساد وصيانة للأعراض فيه، فالوقاية خير من العلاج، ودفع المفاسد مقدم على جلب المصالح، وسد الذرائع قطع لدابر نتائجها...

٢-**التربية على حفظ اللسان والتثبت في إطلاق الأحكام على الناس؛ وعدم المسارعة بالتصديق للشائعات:** حيث يقوم المسلم بالتثبت من الأخبار وعدم الخوض في أعراض الناس، مما يحفظ المجتمع من انتشار المفاسد والقلق والحيرة، مما يُوجِد لدى المسلم قاعدة عامة يتعامل فيها في جميع نواحي حياته وهي إقامة أمور حياته كلها على أساس الحجة والبرهان لا على أساس الظن والأوهام.﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ...﴾ [النور١٢- ١٦]

٣-**تربية النفس على غض البصر وحفظ الفرج؛** لما في ذلك من حفظ المجتمعات الإسلامية من المفاسد الكثيرة والمتعددة، فهما أصل المفاسد النفسية والاجتماعية، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ

ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ ﴾ [النور: ٣٠-٣١]

٤-تربية النفس الإنسانية على الالتزام بما شرعه الله من طرق لتلبية الشهوات؛ التي أودعها الله تعالى في النفس الإنسانية كالزواج الشرعي: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾ [النور: ٣٢-٣٣]

٥-**تضييق فرص الغواية، وإبعاد عوامل الفتنة؛** وذلك بسد كل الذرائع التي تؤدي إلى أسباب التهييج والإثارة، وإزالة العوائق التي تحول دون الإشباع الطبيعي بالوسائل النظيفة والمشروعة....

٦-تربية أفراد المجتمع على آداب الاختلاط، وأخلاق التزاور؛ وعلى رأسها الاستئذان قبل الدخول إلى بيوت المسلمين، وما يتعلق بذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور:٢٧، ٢٨]

٧-**تحقيق منزلة التوبة والإنابة إلى الله تعالى عند أفراد الأسرة والمجتمع:**

ذلك (أن أوامر الله تعالى ونواهيه في كل باب، لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها. وإن ضبط نفسه واجتهد، ولا يخلو من تقصير يقع منه، فلذلك وصّى الله المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار، وبتأميل الفلاح، إذا تابوا واستغفروا)[1]

ولذلك لَمَّا أمر عباده المؤمنين في (سورة النور) بمجموعة من الأحكام الشرعية، والآداب الإسلامية، ختم الآية بالأمر بالتوبة والإنابة، وعلق الفلاح في الدنيا والآخرة بالتزام هذه التوبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ

[1] ينظر الكشاف، 3/ 238

يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ... [إلى أن قال تعالى:] وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور: ٣١]

المحور الثالث: هدايات سورة النور وأثرها في تحصين القيم الأسرية والاجتماعية (عرض ومدارسة لنماذج):

إن الغاية التي من أجلها نزل القرآن الكريم هي هداية الناس، بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهذه الغاية تستلزم اتباع هذا النور؛ لأنه لا هداية إلا بالنور، ولذلك وصف الله القرآن الكريم في سياق الهداية بهذا الوصف: (**النور**) ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾ [الشورى٥٢]

ووصف رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم الداعي إلى هذه الهداية بالسراج المنير: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب٤٥،٤٦] وهذه الأنوار الجليلة الجميلة؛ أنوار القرآن، وأنوار الرسول صلى الله عليه وسلم، إنما هي قبس من نور الله تعالى، فهو سبحانه أصل الأنوار كلها، مادية ومعنوية: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ.. ﴾ [النور: ٣٥]

ولما كانت هذه السورة الكريمة مشتملة على أصول العقائد، والفضائل، والأخلاق النفسية، والأسرية، والاجتماعية، التي تهدف إلى بناء الأسرة والمجتمع المسلم وصيانتِهما من الفساد والانحراف العقدي والأخلاقي،

من خلال آيات بينات، وهدايات واضحات؛ سماها الله ب:(**سورة النور**) لتنويرها طريق الحياة الاجتماعية والنفسية والأسرية للمجتمع المسلم،

وذلك لما فيها من إشاعات الأنوار الربانية، والهدايات الإلهية، في طريق السير إلى الله تعالى فرداً، وجماعة، وأُمّة.

وإذا كان الله تعالى وصف القرآن بالنور عموماً –كما سبقت الإشارة– فإن لهذه السورة الكريمة، أنوراً خاصة، ضمن أنوار القرآن الكريم، لأن الله تعالى شرّفها وخصّها بهذا الاسم، ويتجلى هذا النور في هدايات آياتها المتفرّدة، والتي نعد منها

ولا نعددها[1]:

الهِداية الأولى: في بيان أحكام الاستئذان وآداب التزاور والمخالطة؛ تقرير لأصول وقواعد الآداب الشرعية التي يجب مراعاتها في صلة المسلمين فيما بينهم، تطهيراً للنفوس، وسلامة للقلوب، وحفظاً لحرمة البيوت، وتحصيناً للمجتمع المسلم (الآيات: ٢٧ – ٢٩)

إن من أعظم هداية سورة النور؛ العنايةَ بالمجتمع المسلم وحمايتَه من الشرور والأخطار، وكلِّ أنواع الانحراف، وإحاطتَه بأسوار من العفاف، وسياج منيع من الأخلاق والفضائل، وذلك من خلال تشريع جملة من الآداب السامية، وفرْض مجموعة من الأخلاق العالية، والوصايا الغالية، تطهيراً للنفوس، وسلامة للقلوب، وحفظاً لحرمات البيوت، وتحصيناً للمجتمع المسلم، من الوقوع في الزلل والانحراف، الذي يهدّد أمْنَ واستقرارَ المجتمع، أفراداً، وأُسراً، وجماعات، وعلى رأس هذه الآداب:

– آداب الاستئذان وأخلاق التزاور والمخالطة: ذلك أن المجتمع المسلم تحكمه علاقات الأخوة، وصلة القرابة، والجوار.. وهذه العلاقات تترتب عليها حقوق وواجبات شرعية، وهي تقتضي المخالطة، والتزاور، والتواصل بين أبناء المجتمع، تحقيقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" [2]

---

[1] سأكتفي بعرض ومدارسة نماذج من الهدايات الكلية للآيات التي لها علاقة بهذا المحور من البحث، وإلا فإن ذكر الهدايات الجزئية الخاصة بهذه الآيات يحتاج إلى صفحات، وما سأدرسه هنا دال عليها.

(٢) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم: 2585

ومن هنا كان الالتزام هذه الآداب في صلة المسلمين فيما بينهم، مما يحفظ أخلاق المجتمع وكرامته، ويبعده عن خطوات الشيطان، وهو من الهدايات العظيمة للسورة.

ويمكن إجمال الحديث عن هذه الهداية في النقاط الآتية:

(١) الالتزام بآداب الزيارة وآداب الاستئذان، كما جاءت في السنة النبوية المطهرة، ففي الالتزام بهذا الخلق العظيم حفاظ على سلامة القلوب من الريبة، وسلامة النفوس من الغيرة المؤدية لفساد ذات البين، ولما فيه كذلك من تزكية النفوس وتربيتها، والحفاظ على حرمة البيوت وحرمة أهلها وذويها، فللبيوت حرمة، ولكل حرمة خصوصية.

ذلك أن من أكبر أغراض هذه السورة هو تشريع نظام المعاشرة والمخالطة العائلية في التَّجَاوُر، فجاءت هدايات هذه الآيات السورة النور، لبيان أحكام التزاور، وتعليم آداب الاستئذان، وتحديد ما يحصل المقصود منه، كيلا يكون الناس مختلفين في كيفيته على تفاوت اختلاف مداركهم في المقصود منه والمفيد.[١]

ولأهمية الاهتداء بهذه الهدايات والتحقق بها عملياً؛ جاءت السنة النبوية لبيان وتفصيل آداب الاستئذان، وكيفيته، وشروط المستأذِن عند الاستئذان،

وما كان من هديه صلى الله عليه وسلم في كل ذلك. ومن هذا البيان الْهِدائي **ما يأتي:**

– عن كلدة بن حنبل رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، ولم أُسلّم ولم أستأذن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "ارْجِعْ فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ "[٢]

---

[١] ينظر التحرير والتنوير، 18/ 196

[٢] رواه أبو داود كتاب الاستئذان، باب كيف الاستئذان، حديث رقم: 5176 والترمذي كتاب الاستئذان، باب التسليم قبل الاستئذان حديث رقم: 2710

- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ، إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ، فَقَالَ: "اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلاَثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ؟ قُلْتُ: اسْتَأْذَنْتُ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ" فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ، أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: وَاللَّهِ لاَ يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَصْغَرُ القَوْمِ، فَكُنْتُ أَصْغَرَ القَوْمِ فَقُمْتُ مَعَهُ، فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ)[1] وفي رواية لمسلم: عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال: جاء أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فقال: السلام عليكم، هذا عبد الله بن قيس، فلم يأذن له، فقال: السلام عليكم، هذا أبو موسى، السلام عليكم، هذا الأشعري، ثم انصرف، فقال: رُدُّوا عليّ رُدُّوا عليّ، فجاء فقال: يا أبا موسى ما رَدَّك؟ كنا في شغل، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الاستئذان ثلاث فإن أُذن لك وإلا فارجع " قال: لتأتيني على هذا ببيّنة، وإلا فعلت وفعلت، فذهب أبو موسى. قال عمر رضي الله عنه: إنْ وجَد بيّنةً تجدونه عند المنبر عشيّةً، وإن لم يجد بينة فلم تجدوه، فلما جاء العشي وجده، فقال: يا أبا موسى ما تقول؟ أقد وجدت؟ قال: نعم، أبي بن كعب، قال: عدل، قال: يا أبا الطفيل ما يقول هذا؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك يا ابن الخطاب، فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: سبحان الله إنما سمعت شيئاً فأحببت أن أتَثَبَّت.[2]

- وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا سَلَّمَ، سَلَّمَ ثَلاَثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا" [3]

---

[1] البخاري، كتاب الاستئذان، بَابُ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِئْذَانِ ثَلاَثًا، حديث رقم: 2062

[2] مسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان، حديث رقم: 5759

[3] البخاري، كتاب الاستئذان، بَابُ التَّسْلِيمِ وَالاسْتِئْذَانِ ثَلاَثًا، حديث رقم: 6244

ثم ليُعْلِمْ أنه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل ألا يقف تلقاء الباب بوجهه، ولكن ليَكن البابُ، عن يمينه أو يساره؛ لما رواه أبو داود عن عبد الله بن بُسْر قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم، لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: "السلام عليكم، السلام عليكم"وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور) [1]

(٢) تحريم الدخول إلى بيوت الآخرين من غير استئذان: فللبيوت حرمتها، والتي لا يجوز أن تنتهك، لما يترتب على ذلك من نتائج وخيمة، من إيغار للصدور، وفساد للقلوب، وكشف للعورات، ذلك أن من مقاصد تشريع الاستئذان، هو حفظ العورات، وعدم كشف أسرار البيوت، حتى لا تصبح حديث المجالس، لما يترتب على ذلك من انحراف في السلوك، وضياع لأمن المجتمع النفسي والأخلاقي والاجتماعي.

ومن هنا كان حفظ العِرض والشرف، من الكليات الخمس، التي جاءت الشريعة لحفظها، ولا يحفظ العرض إلا بحفظ ما يحافظ عليه من الوسائل، وهذا من مقاصد هذه السورة الكريمة.

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره: (مقصود هذه السورة: ذكر أحكام العفاف والستر)[2]

(٣) عدم الدخول إلى بيوت الآخرين في حالة الاعتذار الضمني، أو الصريح: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ﴾ [النور: ٢٨][3] وهذا من دقة التعبير القرآني، ومن أعظم مقاصد هداياته التشريعية، ذلك أن النفوس والطبائع مختلفة، فقد يغلب الحياء بعض النفوس، فتقع في الحرج، فلا تستطيع أن تقول للمستأذن: ارجع،

---

[1] سنن أبي داود برقم: 5186 عن تفسير القرآن العظيم للإمام بن كثير، 37/6

[2] الجامع لأحكام القرآن، 12/ 158

[3] ينظر: التربية القرآنية في سورة النور، 193، أنور أحمد داود أعمير (بتصرف)

أو أعتذر لك عن الدخول، بل ربما تعبر عن ذلك بعدم الاستماع، أو بما يوهم أنها ليست في البيت، فما على المستأذن إلا أن يفهم المقصود، ولا يجوز له أن يحرج أهل البيت بالإلحاح في الاستئذان، بذريعة التأكد من استماعهم لاستئذانه، وعلمهم به، فيبالغ في ذلك. أما في حالة الاعتذار الصريح، فهذا أمر بيّن واضح. ذلك أن من مقاصد هذه السورة الكريمة هو حفظ كرامة الأسرة وقيمة الشرف.

قال أبو زهرة رحمه الله: (لو سميت سورة النور سورة الأسرة لكانت جديرة بهذا الاسم)[1]

الهداية الثانية: في الأمر بغض الأبصار وحفظ الفروج، سد لذرائع الحرام، وتطهير للقلوب، وتربية للنفوس على مراقبة الله تعالى، وتحقيق للفوز والفلاح في الدنيا الآخرة (الآيتان: ٣٠ – ٣١)

إن مما انفردت به سورة النور من الهدايات: أمرَ المؤمنين بغض أبصارهم، وحفظِ فروجهم، وهو من أعظم هداياتها، وأرفع أخلاقها، وجميل آدابها، ومن أوجب فرائضها وأحكامها، وذلك لما يترتب على هذا الأمر –سلباً أو إيجاباً– من آثار نفسية، واجتماعية، تعتبر من أهم المحددات في الحكم على الأسرة المجتمع بالرقي الإيماني، والسموّ الأخلاقي، أو السقوط، في براثن الرذيلة، والوقوع في شباك الشيطان، واتباع خطواته، وما يترتب على ذلك من إعلان الفواحش والمنكرات والأمر بها، مما حذرت منه السورة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ [النور: ٢١]

ومن فلسفة الإسلام في هذا أنه إذا حرم شيئاً حرم كل ما يؤدي إليه، وذلك من باب سد الذرائع، وتضييق سبل المعصية، لوقاية الفرد والمجتمع من الفساد الذي يؤدي إلى الهلاك والبوار، وهو مقصد أصيل في باب التشريع

[1] زهرة التفاسير 10/ 5130

الإسلامي، وفي هذا السياق جاء أمر الإسلام بغض الأبصار، وحفظ الفروج، ونهى المرأة عن إبداء زينتها، وحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية، ومصافحتها، والنظر إليها بشهوة، وإطلاق البصر دون حدود أو قيود..، فالنظر (أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع منه مانع، ولهذا قيل: الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده.

ومن هنا كان غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوئد، عظيمة الخطر، جليلة القدر:

إحداها: حلاوة الإيمان ولذته، التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه الله تعالى، فإن من ترك شيئا عوضه الله تعالى خيراً منه.

الفائدة الثانية: نور القلب وصحة الفراسة، قال أبو شجاع الكرماني[1]: (من عمر ظاهره بإتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغضّ بصره عن المحارم واعتاد أكل الحلال، لم تخطئ له فراسة)

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى قصة قوم لوط وما ابتلوا به من الفواحش، ثم قال بعدها: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥] والمتوسمون وهم المتفرّسون الذين سلموا من النظر المحرم، ولذا قال الله تعالى عقيب أمرِه للمؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥]

---

[1] أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني. كَانَ من أَوْلَاد الْمُلُوك صحب أَبَا تُرَاب النخشبي وَأَبا عبد الله بن الدِّرَاع الْبَصْرِيّ وَأَبا عبيد البسري وَكَانَ من أجلة الفتيان وعلماء هَذِه الطَّبَقَة وَله رسالات مَشْهُورَة والمثلثة الَّتِي سَمَّاهَا مرْآة الْحُكَمَاء، ورد نيسابور فِي زِيَارَة أبي حَفْص وَمَعَهُ أَبُو عُثْمَان الْحِيرِي وَمَات قبل الثلاثمائة. (طبقات الصوفية، ص١٥٠، محمد بن الحسين النيسابوري أبو عبد الرحمن السلمي)

وسر هذا: أن الجزاء من جنس العمل، فمن غض بصره عما حرم الله تعالى عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى،

فإن القلب كالمرآة، والهوى كالصدأ فيها، فإذا خلصت المرآة من الصدأ انطبعت فيها صور الحقائق كما هي عليه، وإذا صدئت لم تنطبع فيها صور المعلومات، فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون.

الفائدة الثالثة: قوة القلب وثباته وشجاعته، فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النصرة، كما أعطاه بنوره سلطان الحجة، فيجمع الله له بين السلطانين.[1]

الهِداية الثالثة: في تفصيل القرآن الكريم لضوابط اللباس، وشروطه عند المرأة المسلمة، ما يدل على خطورة شأنه في أبعاده الإيمانية، والخلقية، والحضارية، داخل المجتمع المسلم: (الآية: ٣١)

إن قضية اللباس عموماً ولباس المرأة خصوصاً، لها ارتباط وثيق بقضية الدين والتدين، وباستقامة المجتمع أو فساده، فاللباس ليس شكلا، أو صورة خارجية، بل هو سيماء للعقيدة، وعلامة للإيمان، ورمز للعفة وأصل للفطرة الإنسانية، كما في قصة آدم وزوجه عليهما السلام.

إن قضية اللباس يَمْتدّ عمقها إلى قصّة الخلق البشري إذن، وبداية الصراع بين إرادة الخير والشر؛ إرادة السِّتر والحياء، استجابة لأمر الله تعالى، وإرادة نزع اللباس والحياء عن الرجل والمرأة، تمرداً على أمر الله، وكشفاً للعورات، وذلك في قصة آدم وحواء عليهما السلام مع الشيطان، والتي قصها الله علينا في القرآن، في سياق الامتنان، بإنزال اللباس ستْراً لعورات الجسد، تحقيقاً لستْر عورات القلوب والنفوس بلباس التقوى، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا

[1] ينظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، 57/1 – ٥٩ (بتصرف)

عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ...﴾ [الأعراف:٢٦،٢٧] فهناك علاقة وثيقة بين اللباس الجسدي بستر العورات حياءً، واللباس القلبي بتحقيق التقوى التي هي أصل الحياء.

ولذلك كان لأمْر اللباس عموماً، ولباس المرأة خصوصاً، دلالة خاصة، لأنه يرمز لكلية أخلاقية عظيمة ألا وهي كلية: (الحياء) التي هي جوهر الدين والتدين في الإسلام، وكان التبرج والتعري رمزاً للتمرد على الخالق وأوامره سبحانه، ووقوعاً في حبال الشيطان ومصيدته،

كما تشير إليه الآية الكريمة الآنفة الذكر من سورة الأعراف، فليس اللباس إذن قضية شكلية، بل هو تعبير عن حضارة وعقيدة ومنهج، كما أن العري والتبرج تعبير عن عقيدة وحضارة أيضاً.

ومن هنا جاءت آيات (سورة النور) لِتَهديَ المرأة المسلمة إلى نموذج خاص من اللباس والستر، مفصّلةً لشروطه، ومحددة لضوابطه وحدوده، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ ...﴾ [النور: ٣١]

إن هذه التفاصيل القرآنية العجيبة لمسألة لباس المرأة، وما يتعلق به من شورط ظاهرة وباطنة، إن دلت على شيء فإنما تدل على خطورة أمر لباس المرأة، وذلك بما يشكله من رمزية عقدية وتعبدية عظيمة لشخصيتها الإنسانية المكلفة، بما يجعله كلية قرآنية وهداية ربانية.

وهكذا (ونظراً لعمق الدلالة السيميائة للباس المرأة في الإسلام، وارتباطه بماهيتها الإنسانية، فقد جاء تشريع أحكامه فريضة في القرآن نفسه، ولم يترك ذلك لتشريع السنة فقط، أو تشريع الاجتهاد، على الرغم مما للسنة ثم للاجتهاد من قيمة تشريعية في الإسلام. لقد تولى الله جل جلاله بذاته إنزال

حكم لباس المرأة من فوق سبع سماوات، وفي ذلك ما فيه من قوة تشريعية، وحجية إلزامية ليس فوقها قوة)[1]

الهِداية الرابعة: في الأمر بالزواج -مع أنه حاجة بشرية معلومة بالعرف والفطرة- دليل على أنه شعيرة ربانية، غرضها تحقيق العفاف، وتحصين المجتمع من الانحراف: (الآيتان: ٣٢ – ٣٣)

من الهدايات التي نستلهمها من آيات سورة النور، مما له علاقة بتحصين القيم الأسرية والاجتماعية؛ سنة الزواج، من حيث كونها مناطاً لبقاء النوع الإنساني واستمراره، ومن حيث كونها كذلك سبباً لبقاء هذا النوع على وجه سالم من اختلاط الأنساب، وهتك الأعراض، وهذا من الكليات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية للحفاظ عليها، والتي تعرف ب: (حفظ العِرض، أو النسب) ولذلك جاء الأمر بها في هذه السورة، في سياق الحديث عن الأخلاق والآداب الاجتماعية التي فرضها الله تعالى، لتحقيق غرض العفاف، وتحصين الأسرة والمجتمع من الانحراف، وهو من الأغراض الكبرى للسورة، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ [النور: ٣٢]

فهذا الأمر الرباني للجماعة المسلمة بإقامة شعيرة الزواج، فيه دلالة قاطعة على ما في الزواج من محاسن ومصالح، يتحقق بها كمال الإنسان وصلاحه في دينه ودنياه، ومن ثم صلاح المجتمع واستقامته واستمراره، على أن الزواج هو أصل الأسرة التي هي أصل المجتمع.

قال أبو بكر السَّرَخْسيُّ الحنفي رحمه الله: (يتعلق بهذا العقد أنواع من المصالح الدينية والدنيوية، من ذلك حفظ النساء والقيام عليهن، والإنفاق، ومن ذلك صيانة النفس عن الزنا، ومن ذلك تكثير عباد الله تعالى وأمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحقيق

(١) ينظر سيماء المرأة المسلمة، 62. فريد الأنصاري.

مباهاة الرسول عليه الصلاة والسلام...) [1]

وبهذا يكون الزواج في الْهَدْيِ القرآني سبباً من أسباب الحفاظ على الصلاح والاستقامة، وإدامتِهما داخل المجتمع لأنه وسيلة لغَضّ البصر وإحصان الفرج، (فهذه المخاطبة -في قوله تعالى- ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾ تدخل في باب الستر والصلاح، أي زَوِّجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف)[2] وطريق لبناء الحياة الاجتماعية السليمة المستقيمة.

وهذه المحاسن والمقاصد التي ذكرها الله للزواج، هي نفسها التي يقوم بها وعليها المجتمع المسلم، وهي المقاصد العظمى، والغايات الأسمى للعبادة التي من أجلها خلق الله العباد، فالسكن النفسي، والاطمئنان القلبي، هما غاية الإيمان ونتائجه، كما أن المودة والرحمة بين العباد، هما غاية العبادة وثمراتُها.

فكان الزواج بذلك من أعظم سبل تحقيق هذه المعاني والهدايات.

الهِداية الخامسة: في بيان أوقات الاستئذان لأهل البيوت، وذوي المخالطة وتحديدها؛ فوائد ومقاصد عظيمة، أعظمها؛ الحفاظ على النظام الرباني للأسرة داخل البيت: (الآيتان: ٥٨ – ٥٩)

إن من عظمة الإسلام، وجمال أحكامه، وكمال هداياته؛ حرصَه على تنظيم حياة المجتمع، العامة، والخاصة، فهو منهاج كامل للحياة؛ ينظم حياة الإنسان في جميع مراحلها وأطوارها، وفصولها، أفراداً، وأُسَراً، ومجتمعات، فلا يدع من أمور العباد شيئاً مما فيه صلاحهم، وسعادتهم، إلا ويشمله بتوجيهه وآدابه، ويحيطه بكمال شريعته وجميل هداياته.

وإن من أجمل ما هدت إليه سورة النور في هذا الجانب بيانَهَا لألوان من الأدب السّامي، الذى يجعل الكبار والصغار يعيشون عيشة فاضلة، عامرة

(١) المبسوط، 3/ 192 (توفِّي أبو بكر محمَّد بن أبي سهلٍ السَّرَخْسيُّ الحنفي، المعروف ب (شمس الأئمَّة)، سنة ٤٨٣هـ)

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن، 239/12

بالطهر والعفاف والحياء، والنقاء من كل ما يجرح الشعور، ومن كل تصور يتنافى مع الخلق الكريم[1] وذلك من خلال الأمر بتعليم آداب الاستئذان داخل الأسرة المسلمة، فللأسرة نظام خاص بها، ولذلك خصها القرآن الكريم في هذه السورة بتشريع خاص بها، بعد ذكر التشريع العام في هذا السياق.

ومن هنا لما كان الحديث في أوائل السورة عن أحكام استئذان الأجانب بعضهم على بعض عموماً، جاء الحديث هنا ليؤكد خصوصاً على أهمية استئذان الأقارب بعضهم على بعض،

إذ أمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم، **وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم، في ثلاثة أوقات:**

الأول: من قبل صلاة الفجر، وذلك لأن الناس يكونون نياماً في فرشهم في ذلك الوقت، عراة في مضاجعهم وقد ينكشف النائم، ويبدو منه لا يرضى الشرع أن يراه منه غيره.

الثاني: حين تضعون ثيابكم من الظهيرة، وسميت بذلك لأن النهار يظهر فيها، إذا علا واشتد حَرُّه(٢) وهي وقت القيلولة، والإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله، ليستريح من أعباء الحياة.

الثالث: من بعد صلاة العشاء، لأنه وقت النوم، فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يدخلوا على أهل البيوت في هذه الأحوال لما يخشى من أن يكون الرجل على حال لا يرضى أن يراه عليها أحد، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ [النور: ٥٨] فسمى هذه الأوقات عورات. والعورات لها حرمتها لا يجوز انتهاكها بالاطلاع عليها، وكل ما يؤدي إلى المحظور فهو محظور، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

---

(١) ينظر التفسير الوسيط، سيد طنطاوي.1468/6

(٢) ينظر المحرر الوجيز، 4/ 194

وبذلك تكتمل صورة المجتمع المسلم القائم على الستر والحياء، سواء في علاقة المسلمين بعضهم ببعض عموماً، أو علاقة أفراد الأسرة الواحدة فيما بينهم، إذ الأسرة لبنة من لبنات المجتمع، وكل خدش أو خلل يصيبها ويستفحل أمره، لا شك أنه سيؤثر على المجتمع ككل، وهكذا كل هذا التكامل الذي هدت إليه آيات سورة النور؛ إنما لتتحقق الغاية الكبرى ألا وهي: ستر العورات، وحفظ كلية الحياء، بسدّ كل ذرائع الفتنة، ووسائل الإثارة، وإقامة كل من الأسرة والمجتمع على أساس من الطهر والعفة والنظافة، تطهيراً للنفوس، وتزكية للقلوب، وسلامة للصدور.

خاتمة

لقد وصف الله القرآن الكريم في آيات كثيرة؛ بأنه روح، ونورٌ، ورحمة، وشفاء، وبركة، وموعظة، وذكرى..، وهذه الأوصاف فيها كل الخصائص التي تحيا بها القلوب والنفوس، وتستنير ببصائرها العقول والأرواح.

ومن هنا كان القرآن الكريم جامعاً لمعاني الهداية الربانية؛ التي هي السبيل الوحيد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، في كل نواحي الحياة؛ وهذه المعاني تحتاج إلى من يبصرها، ليبصر من خلالها الهدى الرباني، وهذا إنما يحصل لمن دخل عوالم الهدى القرآني دخول المحتاج للإبصار، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (كلما ازدادت البصائر فيه –القرآن– تأملا وتفكيراً، زادها هداية وتبصيراً، وكلّما بجَسَتْ مَعينَه فجَّر لها ينابيع الحكمة تفجيراً) [1]

والأمة في عصرنا هذا أحوج ما تكون إلى هذه الهداية الربانية، والبصائر الرحمانية، لربط واقعها بمعاني القرآن الكريم وهداياته، وتفعيل دورها في معالجة مشكلات الفرد، والأسرة، والجماعة، والأمة؛ تحقيقاً لِمَقْصَدِ نزول القرآن، وهو: الاستهداء بهداياته في حياتها كلها؛ وعلى رأسها الحياة الأسرية والاجتماعية، في جانبها القيمي والأخلاقي. وهذا ما حاولت مقاربته هذه المداخلة من خلال مدارسة موجزة لسورة النور ضمن مداخل تدبرية، ضمها المحوران: **الأول، والثاني**، ثم الوقوف على نماذج من هداياتها في هذا السياق وأثرها في بناء القيم الأسرية والاجتماعية وتحصينها؛ من خلال **المحور الثالث**.

هذا فما كان من توفيق وصواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو زلل أو نسيان، فمني ومن الشيطان، وأعوذ بالله أن أُذَكِّرَ به وأنساه، وحسبي الله ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العلمين.

---

[1] مدارج السالكين في منازل السائرين، ١/ ٤.

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم. (مصحف المدينة للنشر الحاسوبي)
١. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ٢/١: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد حامد الفقي الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية
٢. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ
٣. البرهان في علوم القرآن، ٤/١ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م دار إحياء الكتب العربية.
٤. التحرير والتنوير: = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ١٢/١ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر الدار التونسية للنشر: ١٩٨٤ هـ
٥. التربية القرآنية في سورة النور: أنور أحمد داود أعمير، طبعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م غزة/ فلسطين.
٦. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط:١ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج:١٥/١ د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة الثانية: ١٤١٨ هـ.
٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٣/١: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة الطبعة: الأولى: ١٩٩٧م
٩. التيسير في أحاديث التفسير، ٦/١: المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، طبعة أولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
١٠. الجامع لأحكام القرآن، ١٠/١: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

١١. دلالة سورة النور على مقصد حفظ النسل: أحمد حسن الربابعة، منشور على الشبكة العنكبوتية (بي دي إف) دون دار النشر ولا تاريخ الطباعة.
١٢. زهرة التفاسير: ١٠/١: محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربي، دون سنة الطبع
١٣. سنن ابن ماجه، ٢/١: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية –فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٤. سنن أبي داود، ٤/١: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) المحقق: محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت
١٥. سنن الترمذي، ٥/١: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ-١٩٧٥م
١٦. صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، ٩/١: المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
١٧. صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
١٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٤/١: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ
١٩. المبسوط، ٣٠/١: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م

٢٠. مجموع الفتاوى، ١٦/١: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
٢١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٦/١ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ
٢٢. مدارج السالكين في منازل السائرين.٤/١ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) تحقيق (محمد أجمل الإصلاحي)، تخريج (سراج منير محمد منير) الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت) الطبعة: الثانية، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم
٢٣. المستدرك على الصحيحين، ٤/١: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠
٢٤. المستصفى في علوم القرآن: محمد سالم أبو عاصي. مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م
٢٥. معاني القرآن: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ) المحقق: محمد علي الصابوني الناشر:جامعة أم القرى مكة المرمة ط:١، ١٤٠٩
٢٦. المعنى القرآني: معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة: رؤية منهجية ومقاربة تأويلية: محمود توفيق محمد سعد. مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م
٢٧. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي (دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت)
٢٨. الموسوعة القرآنية، خصائص السور: جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ
٢٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.